

مدخل إلى فلسفة اللسانيات

Introduction to the philosophy of linguistics

د.ميسومي نور الهدى*

جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي -
تيسمسيلت - (الجزائر)

missoumi.houda@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/05/23

تاريخ الاستلام: 2025/03/07

ملخص:

تندرج هذه الدراسة في إطار إثبات آليات اشتغال فلسفة اللسانيات على اللغة، إذ حاولنا الكشف عن العلاقة الشائكة بين الفلسفة واللسانيات، وتبيان الفرق بين فلسفة اللسانيات التي تقضي بامعان التفكير في علوم اللغة وفلسفة اللغة التي تتناول مسائل المعنى والمرجع، وتُعد الفلسفة مجالا رحبا لكثير من العلوم، حيث ظهرت واشتهرت بوصفها حقلا جامعا لمختلف المجالات، وقد اهتم الفلاسفة باللغة منذ السفسطائيين وأفلاطون، وذلك يرجع للعلاقة القائمة بين اللغة والفكر. ولما كان للغة منطقها الخاص كانت مسألة بروز علم اللغة الحديث ممثلا في اللسانيات أمرا حتميا، وقد كان للسانيات البنيوية على وجه الخصوص فضل كبير في تحقيق نقلة متميزة في الفلسفة المعاصرة باعتبارها توفر المنهج العلمي والتجريبي لدراسة اللغة.

كلمات مفتاحية: الفلسفة، اللغة، اللسانيات، أنطولوجيا، المنهج

Abstract:

This study falls within the framework of demonstrating the mechanisms of the work of the philosophy of linguistics on language, Having tried to uncover the thorny relationship between philosophy and linguistics Philosophers have been interested in language since the sophists and Plato, due to the relationship between language and thought., Since language had its own logic, the question of the emergence of modern linguistics represented by linguistics was inevitable, Structural linguistics in particular has been credited with a distinct shift in contemporary philosophy. It provides a scientific and experimental method for the study of language.

Keywords: Philosophy, Language, Linguistics, Ontology, Method

مقدمة:

تمسّ اللغة بتركيبها فروعاً مختلفة من المعرفة، وعُني بها العلماء على اختلاف طوائفهم، ولأن علم اللغة قد حظي بالكثير من الأبحاث وفي صور متباينة عبر تاريخه كانت الدراسات الخاصة به كثيرة التفرعات والتفصيلات التي يصعب حصرها، وتدين الدراسات اللغوية الحديثة في كونها علماً له مكانته الخاصة لما وضعه فرديناند دوسوسير من قواعد الألسنية العامة في بداية القرن العشرين، حتى أصبحت اللسانيات البنيوية علماً موضوعياً يستمدّ قواعده وأسسها من النظرية العلمية، ومن هنا يستكمل دراسة مستويات اللغة من خلال المقولات المتصلة بالأنثروبولوجيا، والإثنولوجيا، والعلوم الفلسفية وعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرها، ومن هنا كان لنا أن نتساءل عن مدى إمكانية تكييف فلسفة اللغة العادية بالمنهج اللساني. وهدفنا من هذا البحث هو رصد الاختلافات بين فلسفة اللسانيات وفلسفة اللغة، والكشف عن مدى الانسجام بين اللسانيات وفلسفة اللغة.

وقد عالجنا الموضوع من منطلق جملة من القضايا الفكرية المتداخلة التي كانت قضية اللغة فيها بمثابة عماد الترابط في مفترق المسائل، وقد كان حافزنا في ذلك هو الوجهة المعرفية في الفكر البنيوي وامتداده لمختلف حقول المعرفة.

1 - فلسفة اللغة:

إن التفكير اللساني الغربي هو وليد التقليد اليوناني القائم على أساس علم النحو، كما هو الحال مع الحضارات التي كان لها تاريخ لغوي كالحضارة الهندية والعربية، ذلك أن علم النحو أقرب ما يكون للتفكير المنطقي، فالمنطق يعتمد على النظر في بنية اللغة.

وعامة فإن للنحو طبيعته الخاصة التي تجعل أعمال الأسس المنطقية فيه تسير بشكل آلي حيث تهدف كتب النحو إلى تقديم الأدوات التي تسمح بفهم المقولات وإنتاجها في اللغة الطبيعية، والهدف الأول الذي كان يصبو إليه علم النحو العام، وهو مجال علمي ينسب مصدره بطريقة رمزية إلى زمن صدور النحو العام والعقلاني (1660) الذي وضعه الفيلسوف أرنولد A Arnauld وعالم النحو لانسلو C Lancelot لمدارس بور روابال، وكان الهدف الثاني في القرن التاسع عشر موضوع علم جامعي دُعي باسم النحو التاريخي والمقارن أو حتى باسم اللسانيات¹.

والواقع أن علم النحو ظل الموجه الأساسي للدراسات اللغوية، فقد درس القدماء اللغة من خلال العلاقات النحوية التي تربط بين التراكيب اللغوية، غير أن الاختلاف بين النحو التقليدي والعلوم اللسانية الحديثة منوط بمسألة الأهداف التطبيقية. لأن المتتبع للنحو التقليدي يلحظ اضطراباً لدى النحاة في إدراك دلالات التراكيب دون اللجوء إلى القاعدة المعيارية، ولعل ما يميز الدراسات اللسانية الحديثة عنها هو الاستثمار في الحقل المعرفية المختلفة والاعتماد على التحليل النفسي واستحضار التاريخ، لهذا نجد أن الدراسات اللسانية تحتكم في تحليل المعنى إلى حيثيات خارجية تحيط بالنص إضافة إلى بنيته الداخلية.

ونحن نجد فلاسفة وعلماء اللغة المسلمين يفرقون بين المنطق والنحو، كما قدموا قوانين توائم بينهما فأحدثوا ما يُعرف بالنحو اللغوي والنحو العقلي، وقد ذكر أبو حيان التوحيدي (ت 400هـ) في المقابسات الفروق الحاصلة بينهما: -النحو يرتب اللفظ ترتيباً يؤدي إلى العادة الجارية. والمنطق يرتب المعنى ترتيباً يؤدي إلى الحق المعترف به من غير عادة سابقة.

- دليل النحو طباعي، أما دليل المنطق عقلي.

-النحو يتبع ما في طباع العرب وقد يعتريه الاختلاف، والمنطق يتبع ما في غرائز النفوس وهو مستمر على الائتلاف.

-النحو تحقيق المعنى باللفظ، والمنطق تحقيق المعنى بالعقل. وقد يزول اللفظ إلى اللفظ، والمعنى بحاله لا يزول ولا يحول.

-النحو يدخل المنطق، ولكن مرتباً له والمنطق يدخل النحو ولكن محققاً له. فالمنطق وزن ليعار العقل، والنحو كيل بصاع اللفظ.²

وقد كان لأهمية اللغة والدور العظيم الذي تحتله في حياة الأفراد والمجتمعات الفضل في انفتاح الدارسين من مختلف التخصصات على العناية بها والاعتكاف على فك شفراتها وأسرارها، وإنه لمن الصعب القبض على مفهوم فلسفة اللغة وذلك يرجع لعدة مسائل لعل أبرزها هو طبيعة الأفكار المتعلقة باللغة عند الفلاسفة كأفلاطون وهيغل وكذلك المكانة التي تحتلها الفلسفة حيث تصدر قائمة العلوم في الحضارة الغربية.

"إن فلسفة اللغة لا تقف عند حدود وضع مجال البحث في علم اللغة التجريبي ضمن إطار تنظيم علمي محدد، ولا عند حدود توليف ... النتائج التي توصل إليها هذا العلم التجريبي".³

هكذا فقد تركزت فلسفة اللغة في تفسير اللغة انطلاقاً من الظروف والملابسات التي تتشكل فيها اللغة البشرية وهو تصوّر راجع لفلسفة الظواهر التي ترى بأن هناك منهجاً خاصاً بالفلسفة، إن ما جاء به هوسرل الذي تنسب إليه فلسفة الظواهر كان على قدر من الأهمية في وضع القواعد الخاصة بالمعرفة الوضعية للغات.

هنالك فرع هام انشق عن التيار السابق، ونشأ من رحم فلسفة فينغنشتاين (Wittgenstein) الثانية ومن نقد ستراوسن (Strawson) لراسل. وقد رفض أن يعتمد الأنظمة المجردة للمنطق الشكلي (logique formelle) في تطوير فلسفة اللغة العادية .

اللغة العادية (langage ordinaire) هي اللغة التي يتحدث بها الناس في كل يوم، فمن فرانسيس بيكون ((francisbacon وحتى كارناب (Carnap)، مرورا بـ بلوك (Locke) ولايبنتز (Leibniz) وكوندياك (Condillac)، عديدون هم الفلاسفة الذين شجّبو الإسراف في الكلمات (الأخطاء التي تنتج من كون الناس يعتقدون اعتقاداً راسخاً بأن هناك كيانات واقعية أو ذهنية تتطابق مع كل الكلمات الموجودة في لغتهم)، وعند مؤلفين مثل أوستن (Austin)، لا يمكننا الشروع في أي تفكير فلسفي إلا بعد أن نحلل عبارات

اللغة العادية التي تتعلّق بالمسألة التي ندرسها. ويرتبط هذا التوجّه بما يطلق عليه رورتي (Rorty) اسم المنعطف اللساني (linguistic turn)، أي التحول اللساني في الفلسفة⁴.

ما يعني أن اهتمام فلسفة اللغة العادية ينصب على تتبّع الكيفية التي تنشأ بها اللغة العادية، ودقة البحث في ذلك لا يمكن تحقيقها وفق فلسفة اللغة إلا بإخضاع الظاهرة اللغوية للمنهجية الفلسفية.

إن الوصف اللغوي المجرد وإخضاع العبارات للتحليل تبعاً لعملية الإدراك، لا يكفي للوصف الموضوعي للاستعمال اللغوي، لأن طبيعة الاستعمال هو ما يحدّد أكثر الوظائف اللغوية. إن الفلسفة المقصودة بذلك هي التي تهتم بتحليل العبارات من خلال علاقة البنية الذهنية للأفراد داخل الحياة اليومية، ومن هنا تتضح أهمية اللسانيات لارتباطها ببقية العلوم الأخرى، فدراسة اللغة وتحديد السمات المميزة لمستوياتها يتجلى بإدراك المجالات المرتبطة بها.

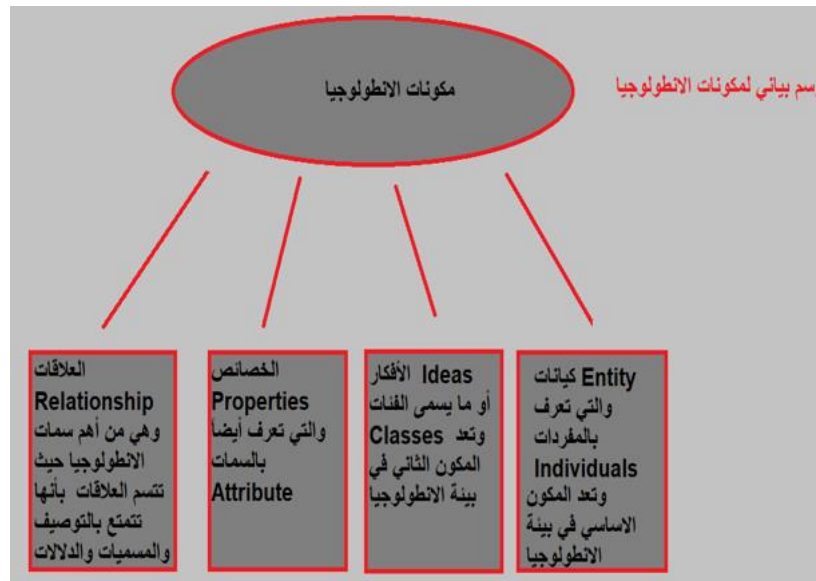
2- فلسفة اللسانيات:

من خلال ما تقدّم عن فلسفة اللغة العادية ومنظورها إلى مسألة الإدراك وربطها بما هو يومي في حياة الأفراد، نستطيع أن نتبيّن كيفية تدخّل الجوانب الإيجابية لعلوم اللغة في تحديد ماهية فلسفة اللسانيات، إن فلسفة اللسانيات تقتصر على أبحاث وأعمال اللسانيين، وبما أن فلسفة اللغة أولت تحليل الخطاب عنايتها فهي بذلك تلتقي مع اللسانيات في الكثير من السمات العلمية، وقد كان وجود تلك الفروع المتعدّدة للسانيات بمناهجها المنصبة على البنية النصية (البنوية والتوليدية) والمناهج المنصبة على التأثير اللغوي (التأثيرية والتعبيرية) دور كبير في تحقيق الفهم العلمي للظاهرة اللغوية.

تشغل فلسفة اللسانيات المواد الآتية:

2-1- أنطولوجيا علوم اللغة :

في حقل الفلسفة كثيراً ما نصادف مصطلح الأنطولوجيا وهو يشير إلى دراسة ما يفترض أنه موجود بغية الوصول إلى الحقيقة التي يقتنع بها العقل البشري وهذا رسم بياني يوضح مكوناتها.



2-2- أساس علوم اللغة:

إن أسس علم اللغة تتضمن تلك الطرق التي عكفت على تعيين مفاهيم أولية للسانيات، ومثلما بدأت اللسانيات طموحها برغبة عارمة في القبض على منهج يجعل من دراسة اللغة دراسة علمية شأنها شأن باقي العلوم مع تجاوز المناهج السابقة بعثاتها في تفسير الظاهرة اللغوية، بدأت المسائل المنهجية تتجلى بشكل أوضح في الأبحاث الدائرة حول القواعد التوليدية التي طرحها تشومسكي.

إلا أن هناك مسألة أساسية بالنسبة لمجموعة من علماء اللسانيات، تتمثل في مسألة تقييم النظريات، تطرق التوليديون إلى هذه المسألة بشكل مباشر، وخصوصا انطلاقا من تمييز تشومسكي بين القوة التوليدية الضعيفة (pouvoir génératif faible) (القواعد النحوية تولد تماما اللغات نفسها) وبين القوة التوليدية القوية (pouvoir génératif fort) وهي تؤدي، بالإضافة إلى ذلك، إلى التحليلات نفسها ⁵.

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن اللسانيات ظاهرة بشرية وسمة فارقية تتميز بالشمولية عن غيرها من العلوم، ولهذا نجد أنها تقوم على جملة من الخصائص والسمات والقضايا الشمولية التي تضعها في مواجهة مباشرة مع قضية اللغة في حد ذاتها، فتطرح فيها اللغة في صورة الملكة الفكرية ثم يجري موضوع الفكر ذاته مجرى الكفاءة المنشودة للظاهرة اللغوية، ومن صلب هذه المقدمات نشأت قضايا فلسفة اللغة ونظرية المعرفة استناد بالضرورة إلى التفكير اللساني الحديث، وبذلك أصبحت قضية اللغة في قبضة الإنسان باعتباره مولدا لها ومشتغلا عليها بالدراسة، فأصبح هو المحور الأساس الذي تقوم عليه البحوث اللسانية المعاصرة.

وجدير بالذكر أن استشراف وشائج القرى بين فلسفة اللغة واللسانيات يتجلى من خلال التركيز على دراسة اللغة في إطار الحياة اليومية وإيجاد تفسير للعلاقة بين التراكيب وما يمدّها بالمعنى من مفاهيم ذهنية، إن اللسانيات من أكثر الميادين صرامة حين يتعلّق الأمر بمناهجها ومصطلحاتها، وعلى ذلك تحقّق فلسفة اللسانيات مفارقة خاصة من حيث منح البحث الموضوعي في اللغة الأدوات الموضوعية في التحليل.

2-3- عمل علوم اللغة ونمذجة تطورها التاريخي:

إن مجال فلسفة اللسانيات مجال رحب يمكن الوصول إلى فهم مسائله عند إدراك الميادين الملحقة بفلسفة اللغة وفلسفة المنطق، ومن خلال فهم العلاقة بين المنهج الفلسفي والمنهج العلمي.

تميّزت البحوث الخاصة بعلوم اللغة عبر مسيرتها الطويلة بالتداخل والتشابك، وفي الكثير من الأحيان كانت ممثلة في جوانبها النحوية والصوتية، وهذا ما جعل النحاة يعملون على ثنائية الجملة الاسمية والجملة الفعلية، وحتى عند الفلاسفة نجد أفلاطون وأرسطو يقابلون بين الاسم والفعل، والحق أن هذه البنية كانت بمثابة الأساس الذي أعطى لعلوم اللغة نظرية ثابتة على مرّ التاريخ.

ولما كانت القضايا المرتبطة بالأنطولوجيا وبأساس علوم اللغة والمنهجية، من المسائل الشائكة غير المحددة، صُعب البحث فيها، إذ لا يوجد اتجاه تاريخي يختصّ بمسائل الأسس والمنهجية، كما أن المؤلفات الغربية التي تُعنى بفلسفة اللسانيات لا تبحث في جذورها التاريخية، وتتبنى بشكل أعم قواعد التوليدية.

3- بين فلسفة اللسانيات وفلسفة اللغة:

إن البحث في استراتيجية فلسفة اللسانيات يجعلنا نلاحظ بأن هذا النوع من الاستمولوجيا هو وليد فلسفة المنطق وعلاقته بفلسفة اللغة، والمنطق الغربي علم ذو ذيع صائت منذ عهد أرسطو التحليلات الأولى، ذلك أن المنطق يستخدم في إيجاد تفسير موضوعي للتصورات وللعلاقة بين البدائل الأسلوبية والتراكيب المتنوعة، كما أنّ المنطق يُولي الدلالة العقلية عظيم الاهتمام، فيكون بذلك من العسير القبول بأي فكرة دون تحفظ، بل يجب اخضاع الأقوال للتحليل المستند لأحكام العقل، فيكون التحديد نسبيا إلى حد كبير.

لكن الاحتكاك بالحياة الواقعية يجعل من الاحتكام للعقل وحده غير موضوعي، لأنّ الأفكار كثيرا ما تكون مشحونة بالتيار العاطفي، والأفراد إلى حد ما يترجمون أفكارهم الذاتية، ثم تعمل الأساليب الشائعة على اخراج القوالب اللغوية.

يقول شارل بالي: "كثير من الحيل التركيبية يصدر عن حركة الوجدان، ومع أن بحث التراكيب الوجدانية لم يكد يبدأ، فإننا نزداد إدراكا لحقيقة أن المنطق لا يكفي لتفسير كل شيء... إن العناصر الانفعالية الداخلة في الفكر تميل إلى وقف التحديدات الفاصلة بين أجزاء الجملة المنطقية أو التحليلية، وذلك لأن الانفعال ينسبنا الشرط الأول للإبلاغ عن طريق اللغة، وهو أنّ الفهم يعتمد على عمليات تحليلية، ويترتب على ذلك أنّ التعبير يكون وجدانيا بقدر ما تميل إلى شكل تركيبى أو مفصول⁶."

إنّه بذلك يُفرّق بين طريقة تناول الفكر للمعاني وبين تناول الوجدان لها، فتكون القوى التعبيرية للأداء مدعومة بطاقة اللغة، وهذا يُظهر وعيا ناضجا بمجموع العادات اللغوية للأشخاص وما يعترتها من اختيارات شعورية واختيارات لاشعورية، إنّ رصد المعاني من خلال الحيل التعبيرية لابد أن يكون مصحوبا بكل الملابسات التي تكون قد أثّرت في الفكرة.

إن النمط المعرفي لتطوير النظرية القائم على أسس الأنظمة المنطقية حين يجعل من الدلالة الحقيقة المثلى والأوحد لتفسير العبارات، هو بذلك يُوسع مجال الأفكار لتتجاوز عتبة اللغة الطبيعية.

نستنتج بهذا أن وجود هذا النوع من فلسفة اللغة يُشير إلى إمكانية دراسة اللغة الطبيعية من دون دراسة خاصة للألسن الطبيعية أي دون الاحتياج للمنهج العلمي وإجراءاته المقننة .

ولإجراء تحليل متعلق بالبناء الدقيق للمفاهيم المتماثلة في حقل اللغويات، لابد من الرجوع لمسألتي النسبية والترادف ما قد يُقدّم لنا برهنة تستجيب لمتطلبات المعرفة العلمية :

-أولا: النسبية:

تسمح لنا اللسانيات النسبية على الرغم مما تحتاج إليه من تفصيل بتقديم لمحة عامة عن طريقة السير التجريبي للمسائل اللغوية بالنسبة لعالم اللسانيات، والتي بواسطتها له أن يجمع النماذج والشواهد لإثبات فاعلية الإجراءات والأدوات التحليلية من خلالها.

"واللسانيات النسبية نظرية لغوية تؤسسها (فرضية مراسية) تفيد أن اللغات البشرية ملكات صناعية كسبية⁷."

إن النسبية اللسانية بذلك تفرض على عالم اللسانيات أن يبني فرضياته ومعتقداته بناء على القضايا الواقعية واستنادا إلى الموجودات بمحيطه الخارجي، ما يجعلها مسائل مفتوحة تقف بين احتمالي الإثبات والنقض، وبالتالي ضرورة إيجاد حلول تقنية، ومن هنا يسعنا أن نستوعب تلك الإشكاليات الفلسفية المتميزة. فالطرح الفلسفي يقضي بالوصول إلى القضايا ذات البعد الواقعي بطريقة مجردة، أي بتخيل نموذج لغوي وبناء سيناريو محاكي للواقع، وهو ما يقيها في مجال الفكرية أكثر مما هي فعلية.

- ثانيا: الترادف:

إن الاعتقاد الذي يقضي بأن التراكيب وحدها هي ما يُمدّ العبارات بالمعاني الخاصة بها، يحدّ من الأفق التحليلية لهذه المعاني.

ومن هذا المنطلق نجد فرضية جورج-مور كواين في المعنى والترادف تقوم على الإتيان بتصورات مكافئة منطقيا لمعنى الكلمة والتصور، وقد خصّ كواين فكرة الترادف بمعنيين من الناحية المنطقية:

أولا: قابلية استبدال كلمتين مترادفتين إحداها بالأخرى دون أن يُحدث ذلك اختلافا في المعنى، وبذلك يكون مفهوم الترادف قائما على المعنى.

ثانيا: اعتبار القضايا التحليلية صادقة إذا كانت تحمل معاني الكلمات المكونة لها⁸.

من خلال الإمعان في فرضية كواين يبدو واضحا بأنها تعتبر تحديد مفهوم الترادف أمر نسبي وغير دقيق .

إن المترادف من خلال فرضية كواين يجعل العلاقة بين عبارتين تحملان ذات المدلول علاقة تبادلية آلية، أي بإمكان استبدال إحديهما بالأخرى دون أن نولي أهمية للسياقات والملايسات التي وردت فيها كل من العبارتين. غير أن المنتبّع لسير دراسة اللغات الطبيعية يجد هذا المفهوم يخالف الواقع.

ولعلّ سبب ذلك هو الاكتفاء بالطرح النظري للفرضية، واستنادها إلى المسلمة التي تجزم بعدم ترادف كلمتين بشكل تام في اللغة نفسها.

أما بالنسبة لعالم اللسانيات يوجد ترادف في الحالتين الآتيتين :

-عندما يكون لمفردتين دلالات قريبة من بعضها بعضا بما يكفي لنستبدل إحديهما بالأخرى في بعض السياقات (مثلا: قام الرسام المزيف برسم نسخة /تقليد للوحة الجوكوندا) .

—عندما يكون من الممكن إبراز زوجين من العبارات اللغوية متناقضين ويتضمنان هاتين المفردتين (مثلا: نقلد بسبب الإعجاب، ونسخ بسبب العجز)⁹.

بناء على هذين المثالين وما يحمالهما من معنى، يمكننا أن نحدّد الفرق بين فلسفة اللغة وعلم اللسانيات، إذ أن المنهج المتبع لدى كل منهما مختلف وكذلك طبيعة المفاهيم، فاللسانيات تعتمد على الأدوات الإمبيريقية بالكامل، في حين أن فلسفة اللغة قبلية مجردة.

تشتغل اللسانيات على نماذج تحاكي الواقع، وترصد العلاقات المتقاربة والمتحولة مع اللغات الطبيعية. ولما كانت علوم اللغة ذات ركائز تقنية، تطرح الإشكاليات ومن ثمة تُعالج حلولها بالاعتماد على بروتوكولات منسقة، هي آليا تُقدّم المعرفة الموضوعية.

يُثير موضوع الدلالة بصفة عامة، عددا من القضايا المهمة التي تتعلّق بقراءة العبارات وفهم معانيها، وكذا بناء المفاهيم الملائمة لمسائل البحث اللغوي العلمي، وليس يخفى اعتماد البعد المنطقي في النموذج التوليدي، باعتباره عاملا أساسيا في عملية التفسير الدلالي .

إن اتّخاذ الأنظمة المنطقية كمنطلق يجعل من دلالة المعاني أساس حقيقتها قد يُبعد دراسة اللغة عن القواعد التي أرسّتها اللسانيات، ولذلك لا يمكن الاقتراب من مفهوم فلسفة اللسانيات إلا بالاعتماد على منطلقات لسانية.

ولهذا نجد لويس هلمسيلف يشير إلى هذه المسألة بقوله: "يجب أن نبتكر علما لا يكفي بأن يمثّل اللغة ككتلة من العناصر المنطقية والتاريخية والفيزيولوجية والفيزيائية والنفسية والاجتماعية، ولكن يتصوّر قبل كل شيء اللغة في ذاتها كوحدة مستقلة وككلّ من طبيعة متميّزة"¹⁰.

على ذلك تكون فلسفة اللغة محصورة في المقاربة اللسانية والبنوية، ولهذا نجد أن المدرسة التوليدية ارتبطت مع فلسفة اللغة بشكل وثيق خاصة وأن القواعد التوليدية تم استنباطها من نظرية الأنظمة الشكلية، ثم إن الشكل المنطقي كان مصاحبا لعلم النحو.

وهذا ما يُفسّر أهمية الشكل المنطقي في النموذج التوليدي وعملية التفسير الدلالي، فالإجراءات التركيبية لا بد أن تكون مصحوبة بتفسيراتها.

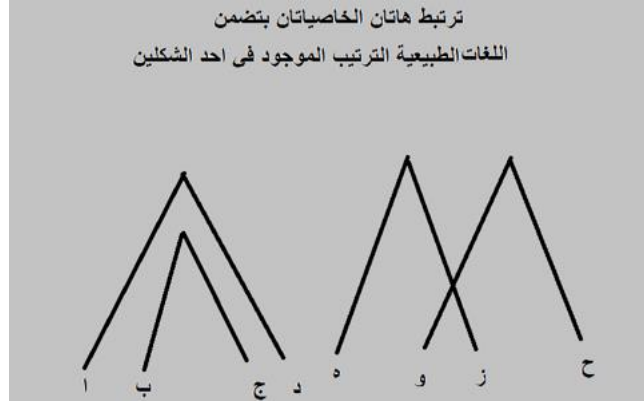
ولعلّ طرح بعض الحالات في القواعد التوليدية من التحليلات الخاصة بترابنية تشومسكي يُبيّن كيف أن لخاصيتي التضمن والتداخل في اللغة الطبيعية أن تكشف الفجوة بين الملاءمة البنوية وقواعد النحو ولشرح ذلك نقدم مثالا عن كل خاصية.

أولا- التضمن:

إن الصديق (أ) الذي أخرجك من مدينتك (ب) ذات الاقتصاد الزاهر (ج) مححف كثيرا (د)

ثانيا- التداخل:

إن هذا الفقر يتجلى بأزمات مادية (هـ) ومشاكل عائلية مقلقة (و) : الأولى [ز] يسببها ضعف الاقتصاد، والثانية [ح] يسببها الاحتياج للمال.



من غير الممكن تفسير هاتين الظاهرتين من خلال القواعد من صنف المثال الأول أو من صنف المثال الثاني، إلا في حال تواترت وتكررت في نفس المسلك التركيبي، وبذلك يكون اعتبار الحجة العقلية ذات فاعلية أم لا هو تقدير ذو طابع فلسفي.

ونجد تشومسكي يُحيل الأمر إلى تحديدات ترتبط بالأداء الكلامي (performance) وأنها بالتالي لا ترتبط بتاتا بالكفاية اللغوية (compétence) التي هي الموضوع الفعلي الوحيد للنظرية اللسانية. هذه الكفاية هي التي تبغي القواعد تقديم نموذج لها¹¹.

فالتوليدية بذلك لا تقتصر على دراسة مجموعة من الجمل في لغة ما، وإنما تجعل من النظام اللغوي كيانا قائما في ذهن الفرد المتحدث للغة، والنحو العقلي كفيل بتقديم أساس كاف يُفسّر الابداع اللساني للأفراد، ولعل هذا ما يميّز فلسفة اللغة إذ كان تعامل تشومسكي بالمنهج التوليدي ووفقا لأحكام منطقية نقطة الالتقاء بين اللسانيات والفلسفة .

يمكن التنبيه إلى أن فكرة توجيه التفسير الدلالي استنادا إلى التراكيب اللسانية بشكل مطلق، قد يُضيق من آفاق البحث اللساني، ذلك أن اللغات متنوعة، وهذا التنوع لا يُحقق هذا المطلب بصورة عامة، حيث لا توجد آلية ثابتة ومطلقة لتفسير عبارة لغوية في اللغة وفق الصيغة المنطقية، وإنه لمن العسير تقديم تفسير دلالي للغة رجوعا لتراتبية التراكيب، وفي كثير من الأحيان لا يمكن فهم النصوص، دون فهم آليات البناء الداخلي لها.

خاتمة:

إن وجود قوانين ثابتة تحكم الدرس اللغوي وتوفّر مناهج امبريقية تسعى لتفسير الظواهر اللغوية في العصر الحديث، جعل من اللسانيات ركيزة متينة تستند إليها الفلسفة، خاصة وأنّ اللسانيات لم تبق مقيدة بحدود ما

ضبطه دو سوسير من قواعد نظرية تأسيسية بل تعدته إلى اتجاهات ومناهج عرفت مسارات مختلفة تسير بتطور مشهود، وما نخلص إليه هو أن الفلسفة قد حافظت على حضورها في معالجة الظاهرة اللغوية وعلاقتها بالفكر . ميدان الدراسة المرتبط بفلسفة اللغة لا يتصل بالمنهج الفلسفي ولا ببناء الأساسية للمعرفة العلمية، بل يتصل بمنهج اللسانيات البنيوية وما لها من آليات اخضاع للمادة اللغوية، وبالتالي القيام بنوع من نقل للإجراءات التي يستعملها اللسانيون نحو البحث الفلسفي.

إنه لمن الضروري المزج بين التفكير اللغوي الفلسفي والنظريات اللسانية الحديثة فتصبح بذلك مسألة التأويل التداولي والفاعلية الذهنية استثماراً للأفكار المنطقية، إذ لا بد من استعمال الإجراءات اللسانية من أجل فهم البنية اللغوية. الأمر الذي يفرض على المشتغل في حقل فلسفة اللغة أن يكون على علم بآليات التحليل التي تعتمد المناهج اللسانية، فاللسانيات ودمجها مع الفلسفة يعتبر مجالاً رحباً للتعامل مع المرجعيات اللغوية، ومسايرة العبارات ومعطياتها للوصول إلى جوهر الأشياء.

إذن فقد تمّ التعبير عن التفكير الفلسفي وفق منظور لساني، أي وفق النظر إلى اللغة كمادة علمية تحتاج معرفة ظروف تشكيلها، والاهتمام بالعلاقات التي تربط بين أجزائها، وكذلك دراستها في أشكالها الجزئية والملموسة لا في شكلها المجرد فقط، كما يجب النظر إلى أنّ اللغة تتضمن المعاني وأنّ المعاني تؤثر على تشكيل اللغة . اللسانيات البنيوية بمنزلة المحرك الأولي لفلسفة اللسانيات، وما ذاك إلا لسعيها نحو إقامة منهج علمي دقيق لمقاربة المواد اللغوية، وهو توجه يعود إلى طبيعة البحث الفلسفي والذي يتبنى إطار العقلانية.

الهوامش:

¹ - ينظر: سيلفان أورو، جاك ديشان، جمال كولوغلي، فلسفة اللغة، تر: بسام بركة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 2012م، ص: 31، 32.

² - ينظر: أبو حيان التوحيدي، المقابسات، تحقيق: حسن السندوبي، دار سعاد الصباح، الطبعة: الثانية، 1992م، ص: 171 / 172.

³ - Karl-OTTO Appel , Die Idee der Sprache in der Tradition des Humanismus (14) von dante bis vico (Bonn :Bouvier , 1963), p :22

⁴ - ينظر: سيلفان أورو، جاك ديشان، فلسفة اللغة، ص: 36/37.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 441.

⁶ - عياد شكري، اتجاهات البحث الأسلوبي، اختيار وترجمة وإضافة، الرياض: دار العلوم، ط1 / 1985م، ص: 40.

⁷ - ينظر: محمد الأوراعي، نظرية اللسانيات النسبية - دواعي النشأة -، دار الأمان، ط1، الرباط 2010م، ص: 16.

⁸ - p M. Myer, logique, langage et argumentation, Hachette, paris

⁹ - ينظر: فلسفة اللغة، ص: 449.

¹⁰ - Louis Hjelmslev ; Le langage, Paris ; 1966, édition de minuit, p25

¹¹ - ينظر: محمد سليمان العبد، النص والخطاب، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1/2005م، ص: 23.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أبو حيان التوحيدي، المقابسات، تحقق: حسن السندوبي، دار سعاد الصباح، الطبعة: الثانية، 1992م
- 2 - سيلفان أورو، جاك ديشان، جمال كولوغلي، فلسفة اللغة، تر: بسام بركة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 2012م
- 3- Karl OTTO Appel , Die Idée der Sprache in der Tradition des Humanismus (14) von dante bis vico (Bonn :Bouvier , 1963
- 4- M. Myer, logique, langage et argumentation, Hachette, paris
- 5 - عياد شكري، اتجاهات البحث الأسلوبي، اختيار وترجمة وإضافة، الرياض: دار العلوم، ط1/ 1985م
- 6 - محمد سليمان العبد، النص والخطاب، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1/ 2005م